

# الالتباع

د. غازي مختار طليمات  
كلية الدراسات الإسلامية والعربية  
دبي - الإمارات العربية المتحدة

ألفاظ الاتباع وشرحوها، ومنهم أبو العباس أحمد بن يحيى المعروف بثعلب (١) (ت: ٢٩١هـ). ثم أقبل على درسها علماء القرن الرابع الهجري. فمنهم من كان يخص الاتباع بباب من كتاب، ومنهم من كان يفرد له كتاباً كاملاً. فأبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (ت: ٣٢١هـ) وقف على الاتباع باباً من كتابه الجمهرة سماه «جمهرة من الاتباع» (٢)، وأبو علي إسماعيل بن القاسم القالي البغدادي (ت: ٣٥٦هـ) تحدّث عنه في باب عنوانه «الكلام على الاتباع» (٣)، وأبو منصور عبد الملك بن محمد الثعالبي (ت: ٤٣٠هـ) ذكره في فصل صغير (٤). وأمّا أبو الطيّب عبد الواحد بن علي اللغوي الحلبي (ت: ٣٥١هـ) فقد خصّ الاتباع بكتاب كامل (٥). ثم جاء أبو الحسين أحمد بن فارس اللغوي (ت: ٣٩٥هـ) فوقف عليه كتاباً (٦) كان - على صغره - أجمع ممّا سبقه وممّا

إذا سألت صديقك عن ولده، فقال: «إنه عَفْرِيْتُ نَفْرِيْتُ» فقد يذهب بك الظنُّ إلى أنه يشفع كلمة ذات معنى بكلمة لا معنى لها. وإذا قلت له: أسافرت إلى الهند؟ فقال: «سافرت ما فرت» فقد يُخيّلُ إليك أنه يهرفُ بلغو من القول. والحقُّ أنه أجابك في الأولى بكلام عربيّ فصيح، وفي الثانية بكلام بعضه فصيح، وبعضه عامّي، فيه لفظة معجمية، ولفظة لم تُسمع عن العرب، لكنّها صيغت صَوْغاً صحيحاً. وسواءً أكان في كلامه هذا معنى واضح ينكشف لك، أم معنى غامض تراوده بالحدس الصادق فتدركه، فإنّه يسلك في كلامه مَسْلُكاً يُسَمَّى «الاتباع»، شاع بين العرب الذي يُحتجُّ بكلامهم، وعُني بدرسه علماء اللغة العربية وأصحاب البلاغة.

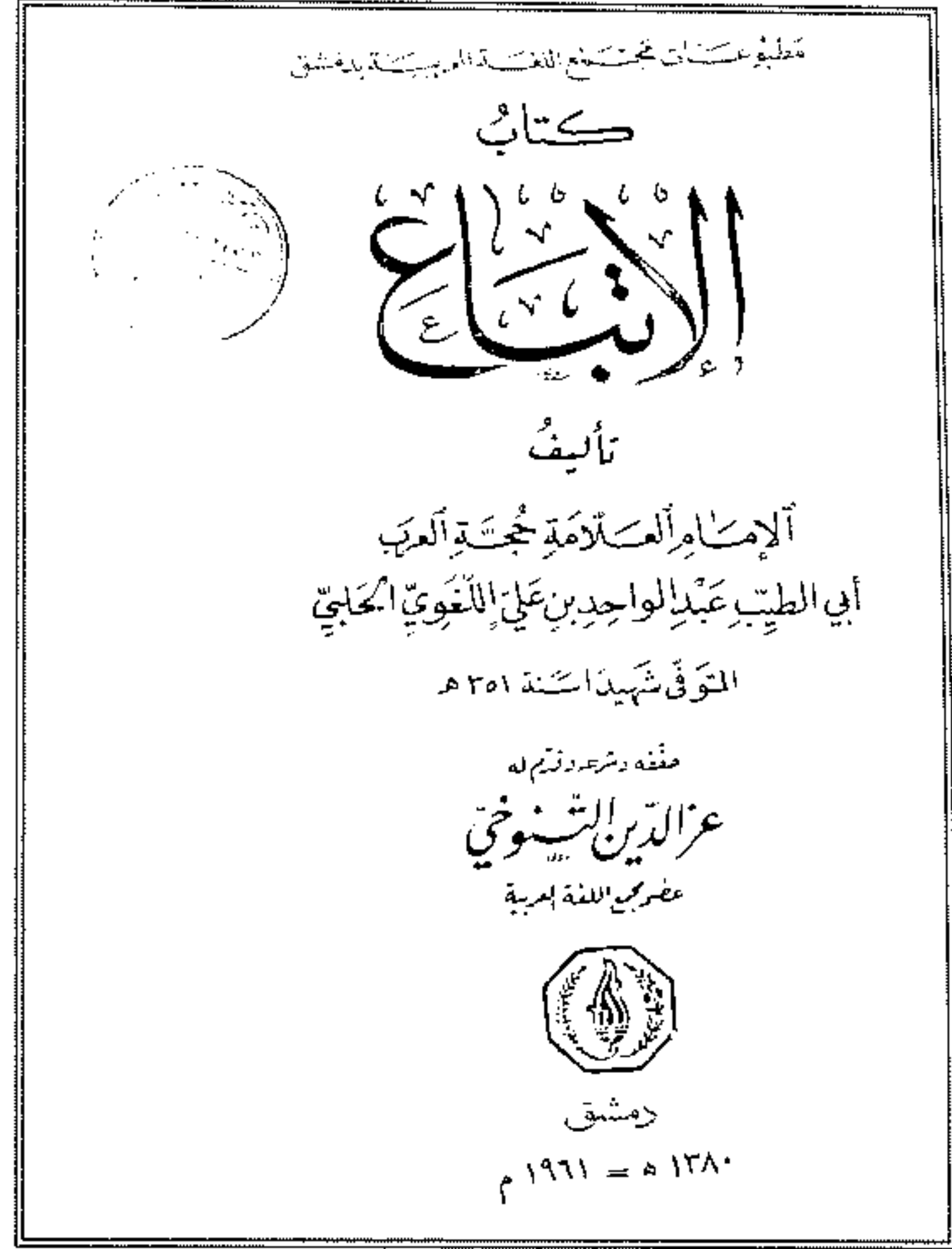
لقد أشار الروادُ الأوائل في كتبهم إلى

الضخم الذي جمع فيه أبو الطيب اللغوي (٢٢٠) عبارة، وطوّله بالشواهد، وذيّله بالشرح.

هذا عرض سريع لتاريخ التأليف في الإتياع، فما الإتياع؟ وما أنواعه؟ وما الغرض من استعماله في لغة العرب؟

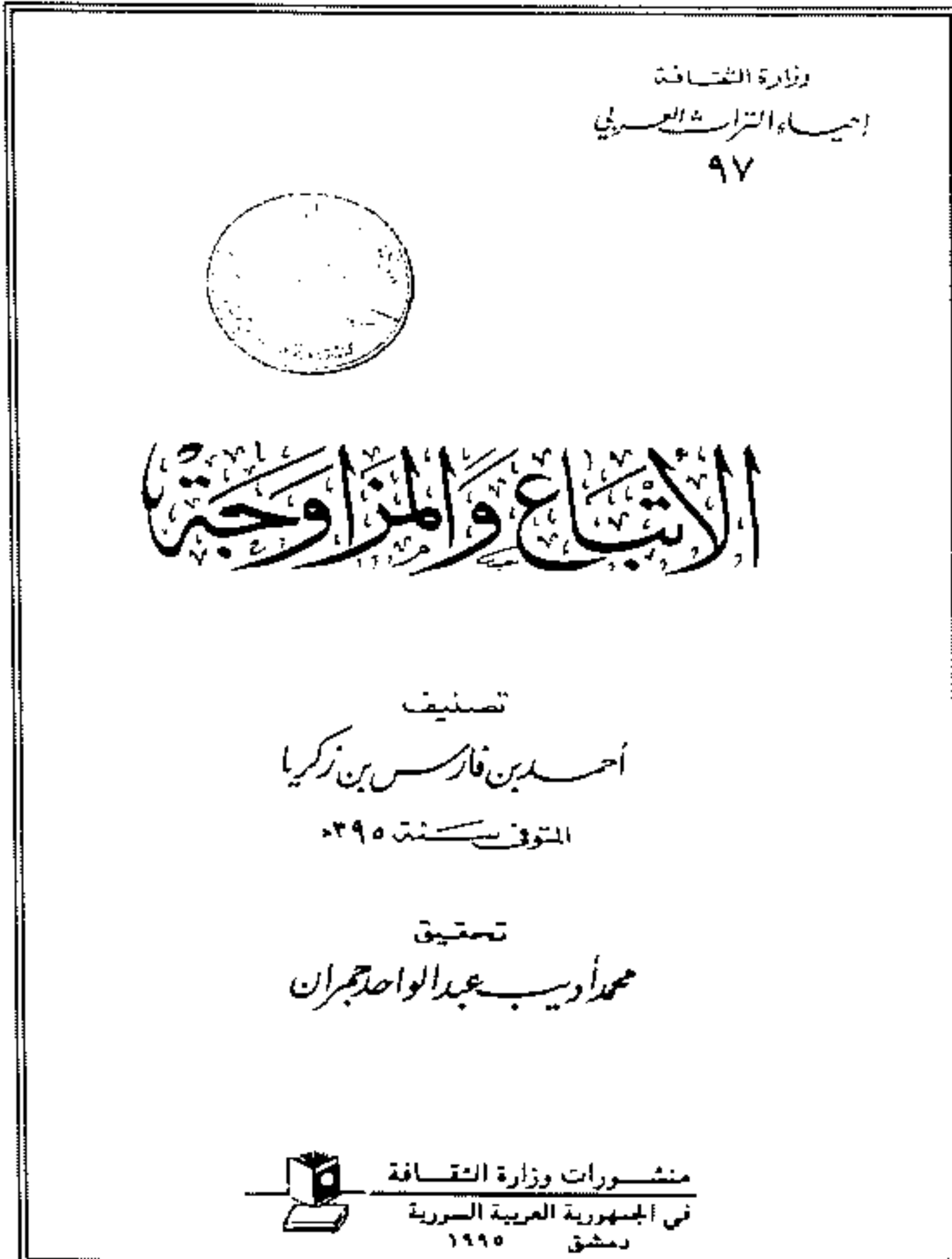
عرّف أحمد بن فارس الإتياع، فقال: «هو أن تُتبع الكلمة الكلمة على وزنها أو رويها إشباعاً وتأكيذاً» (٨). وضرب له الكسائي أمثلة توضّحه، فقال: هو «كقولهم: عطشان نطشان، وجائع نائع، وحسنّ بسنّ، ومثله كثير في الكلام. وإنما سُمي إتياعاً لأن الكلمة الثانية إنما هي تابعة للأولى على وجه التوكيد لها، وليس يُتكلّم بالثانية منفردة، فلهذا قيل: إتياع» (٩).

وفحوى كلام الكسائي أنه لا يحقّ للعربي أن يقول: فلان نطشان، والطفل نائع، والثوب



لحقه، وأحفل من سواه بما أثير عن العرب من عبارات الإتياع.

ثم تناول المتأخرون من علماء البلاغة، وعلماء اللغة بحث الإتياع بالتوضيح والتعريف، والجمع والاختصار. ومع ذلك بقي كتاب ابن فارس أكثر الكتب فائدة، وأقلها حشواً، وأبعدها من النّفج والمفاخرة. فالإمام جلال الدين السيوطي (ت: ٩١١ هـ). ذكر كتاب ابن فارس، فقال: «وقد اختصرت تأليفه، وزدت عليه ما فاتته في تأليف لطيف سمّيته: «الإلماع في الإتياع» (٧). فإن يكن الذي يفاخر به السيوطي ما ذكره في المزهري، فليس للسيوطي فضل على ابن فارس، لأنّ صنيعه كان اقتساراً عاتياً لا اختصاراً واعياً، ولأنّ مجموع ما ذكره - بعد إغارته على كتاب ابن فارس واختصاره - يشتمل على (١٨٨) عبارة، وهي علي كثرتها - نصف عبارات ابن فارس، وعدتها (٣٤٦). بل إن كتاب ابن فارس أغزر عبارات من الكتاب



وربما اختلط الإتياع بالترادف، فتوهم من لا ذرية له بكلام العرب أنهما توءمان، والحق أن بينهما وشيجة من قرى، لكنها لا تبلغ مبلغ الأخوة. فالمترادفان «كالليث والأسد» يحملان دلالة واحدة، والتابع يردف المتبوع في اللفظ، ولا يردفه في المعنى، لأنه يستمد بعض معناه لا معناه كله من المتبوع، كما تجذب حديدة يسحبها مغناطيس حديدة أخرى، فمتى فصلت المسحوبة عن الساحبة حكمت عليها بالشلل، وأفرغتها من قوة الجذب. قال التاج السبكي: «ظن بعض الناس أن التابع من قبيل الترادف، يشبهه به، فإن المترادفين يُفقدان فائدة واحدة من غير تفاوت. والتابع لا يفيد وحده شيئاً، بل شرط كونه مفيداً تقدم الأول عليه» (١١).

ويمكن تقسيم الإتياع إلى ضربين : ضرب ثنائي، وضرب ثلاثي :

الأشبال والنظائر

تأليف  
محمد بن محمد بن عبد الصمد بن المرغل  
أبي عبد الله صدر الدين المعروف بابن الوكيل  
(ت ٧١١ هـ)

القسم الأول

تحقيق ودراسة  
د. أحمد بن محمد العنقري  
مركزية التراث في كلية الشريعة بالجامعة

مكتبة الرشد  
الرياض



## الاتباع

للعلامة الفاضل أبي العز الجيني  
المتوفى سنة ٧١٢ هـ

خاتمة وعقود عليه  
فضيلة الشيخ محمد عطا الله بن حنيف  
الدكتور عصام بن عبد الله القرني

عام الكتب

بسن، لأن هذه الألفاظ كالعربات المقطورة لا تسير إلا إذا سحبتها القاطرة. فهي هياكل لواحق، تستمد حركتها من السوابق التي تشق لها السبل إلى أذهان السامعين.

وشرط الإتياع عند بعض اللغويين تجرد التابع من حرف العطف، فإن قلت: فلان ساغب ولاغب لم تغلط، ولكنك نقلت الكلام من أسلوب الإتياع إلى أسلوب العطف. قال السيوطي: «وأما حديث آدم عليه السلام أنه استحرم حين قتل ابنه، فمكث مائة سنة لا يضحك، ثم قيل له: حياك الله وبياك. قال: وما بيأك؟ قيل: أضحكك. فإن بعض الناس يقول في بيأك: إنه إتياع، وهو عندي على ما جاء تفسيره في الحديث: إنه ليس بإتياع، وذلك أن الإتياع لا يكاد يكون بالواو، وهذا بالواو» (١٠). ومن يستقرى عبارات الإتياع يجد أن ما جاء منها بالواو كثير، يكاد يعدل ما تجرد منها.



مطبوعات مجمع اللغة العربية دمشق

١٥٥٥ شارع التراث  
دمشق ١٥٥٦

الأشياء والنظائر  
في النجوى

بجلال الدين السيوطي  
٨٤٩ - ٩١١ هـ

الجزء الأول

تتمتق  
عبدالباقى سنجهان

فالثنائي، وهو الأكثر، تنطوي كل عبارة من عباراته على كلمتين متجانستين متوازنتين، متساويتين في عدد الأحرف، مختلفتين في حرف واحد. ومثاله «يقولون للأحمق هفات لفات ... وفرس غوج موج. الغوج: الواسع الخطو، والموج: كأنه يموج ... وقالت امرأة من العرب: إني لأبغض من الرجال الأملح الأقلح. الملح: بياض الشيب والقلح: صفرة الأسنان» (١٢).

والثلاثي - وهو أقل من قسيمه الثنائي - تنطوي كل عبارة من عباراته على ثلاث كلمات متوازنة متجانسة متساوية في عدد الأحرف، مختلفة في حرف واحد أو أكثر، ومثاله في الدلالة على الكثرة والغزارة «هو كثير بثير بدير» (١٣)، ويقولون في الخسران المبين: «هو خاسر دامر دابر» (١٤) وفي الحمق وضيق الصدر: «هو ضيق ليق عيق» (١٥).

ويقسم الإتياع من ناحية أخرى إلى ضربين آخرين: ضرب يأتي فيه التابع مخالفاً للمتبع في حرف الروي، كقول العرب: «جوعاً له وجوداً وجوساً» (١٦). وهو ضئيل الحظ من الجمال والذيع، لا تذكر كتب اللغة نماذج كثيرة منه.

وضرب يوافق فيه التابع المتبع في حرف الروي، وهو الأكثر. ومثاله «تركت خيلنا أرض بني فلان حوثاً بوثاً، إذا أثارتها. ويقال: خبيث نبث، فيجوز أن يكون إتياعاً، ويجوز أن يكون من ينبت الشر، أي: يثيره» (١٧).

والتعليق على العبارة الأخيرة يوحي أن الإتياع المحض هو ما لم يكن فيه التابع ذا معنى محدد قبل أن ينتظم في سلك الإتياع، وما لم يكن له اشتقاق صرفي واضح. قال السيوطي: «قال الأمدى: التابع لا يفيد معنى أصلاً. ولهذا قال ابن دريد: سألت أبا حاتم

الأشياء والنظائر  
في النجوى

للإمام جلال الدين السيوطي  
القرن ٩١١ هـ

الجزء الأول

تمتق  
الدكتور عبدالعال سالم مكرم  
أستاذ بهريري في جامعة الكويت

مؤسسة الرسالة



الكلمة الأولى بمعنى الكلمة الثانية. وإذا قلت «الكتاب لك أبداً سمداً سمرمداً» (٢١) فكل لفظ من هذه الألفاظ ظرف، ولا يعرب اللاحق توكيداً للسابق. وإن شئت التعميم والاختصار في الإعراب فقل: الثاني تابع للأول يوكدّه، ويتبعه في الإعراب، وهذا الكلام مصداق قول ابن فارس: «روي أن بعض العرب سئل عن هذا الإتيان، فقال: هو

شيء نَدِدُ به كلامنا» (٢٢).

وأما الغرض الفني فهو ما يرمي إليه الإتيان من إمتاع، لأنه عند التمحيص، يبدو لك ضرباً من ضروب المجانسة والازدواج، وشكلاً من أشكال السجع، يقرب موسيقا النثر من موسيقا الشعر، وينفج السمع بأعذب وقع. وللعرب كَلْفٌ أي كلف بإصلاح الألفاظ، لتسبغ عليها جرساً محبباً، حتى إنها لتغيّر هيئة اللفظة، وبناءها الصرفي، فتهمز ما لا يهمز لتوائم المهموز، من ذلك الحديث الشريف «أرجعن مأزورات غير مأجورات» (٢٣) فأصل المأزورات موزورات، لأن اللفظة من الوزر بمعنى الإثم، لا من الأزر بمعنى القوة.

وهنا يحسن التنبيه على مسألة نبّه عليها الأستاذ عبد الله العلايلي، وهي أن القرآن الكريم - على تنوع أساليبه الفنية - لم يستعمل الإتيان. قال العلايلي: «ولكن الأمر



## الاشبالة والنظائر

تأليف  
محمد بن محمد بن مكي بن عبد الصمد بن المرغل  
أبو عبد الله صدر الدين المعروف بابن الوكيل  
(ت ٧١١ هـ)

القسم الثاني

تحقيق ودراسة  
د. عادل بن عبد الله الشويخ

مكتبة الرشد  
الرياض

عن معنى قولهم: بَسَنَ، فقال: لا أدري ما هو» (١٨) لكن كلام الأمدي ليس القول الفصل، فقد ردّ عليه تاج الدين عبد الوهاب بن علي السبكي (ت: ٧٧١ هـ) فقال: «والتحقيق أن التابع يُفيد التقوية، فإن العرب لا تضعه سدى. وجهل أبي حاتم بمعناه لا يضرب بل مقتضى قوله: - إنه لا يدري معناه - أن له معنى، وهو لا يعرفه» (١٩).

وللقارئ أن يسأل: أكان للعرب غرض في استعمالهم الإتيان؟ وهل كانوا يأتونه في جدّ القول وهزله، ومصنوعه ومرتجله؟

يغلب على ظننا أن العرب رموا من الإتيان إلى غرضين: معنوي وفني.

أما الغرض المعنوي فهو التوكيد بأسلوب يخالف أسلوب التوكيد المعنوي واللفظي، وكلاهما توكيد معنوي نحوي.

فالتوكيد المعنوي يتمّ بذكر ألفاظ معروفة، منها: كل، وكلا، وجميع، ونفس... كأن تقول عاد الغائبان كلاهما. والتوكيد اللفظي يتمّ بتكرار الكلمة المفردة أو الجملة، كقولك: رويت الحديث الحديث، والله أكبر الله أكبر. أما هذا النمط من التوكيد فهو توكيد في المعنى لا في النحو. فإذا قلت في صفة خداع: «هو خبّ صبّ» (٢٠) فالخبّ خبر أول، والضبّ خبر ثان، والتوكيد جاء من تأييد معنى

من الازدواج والمجانسة والتكرير. قال القزويني \* «وإذا ولي أحد المتجانسين الآخر سُمي مزدوجاً ومكرراً ومردداً، كقوله تعالى : ﴿وجئتك من سبأ نبأً يقيناً﴾ (٢٦).

وخلاصة القول: إن الإتباع أسلوب طريف من أساليب الكلام العربي، فيه الرشاقة والتناغم وتقوية المعنى، وهو إلى الارتجال أقرب منه إلى القصد، وبالطرافة أشبه منه بالحصافة، وهو برهان واضح على ما في لغتنا المعجزة من ثراء وتنوع.

الذي يدعو إلى التساؤل عدم استعمال القرآن لشيء منه على شتى ألوان التعبير فيه. وفي الحق أنه تساؤل له أهميته. وما لا يبعد احتمال أنه يكون الإتباع خاصاً بالكلام المرتجل» (٢٤).

وربما خطر لمعترض أن يعارض العلايلي، فيذهب إلى أن في القرآن الكريم إتباعاً، ومنه قوله تعالى ﴿وجئتك من سبأً نبأً يقيناً﴾ (٢٥). وهو اعتراض مرفوض مدحوض، لأن لفظة نبأً ليست تابعة للفظه سبأً، وورود الكلمتين على هذا النحو ضرب

## هوامش البحث ومصادره

- ١ - مجالس ثعلب، تحقيق عبد السلام محمد هارون . - القاهرة، ١٩٦٠م، ص ١٩٨ - ٢٠٦.
- ٢ - ابن دريد، جمهرة اللغة، حيدرآباد، ١٣٤٤هـ، ٤٢٩:٣.
- ٣ - الأمالي للقالبي، عني بطبعه لويس شيخو، ٢٠٨:٢ - ٢١٨.
- ٤ - الثعالبي، فقه اللغة وسرّ العربية، تحقيق السقا والأبياري . - القاهرة، ١٩٧٢م، ص ٣٧٢.
- ٥ - أبو الطيب اللغوي، كتاب الإتباع، تحقيق عز الدين التنوخي . - دمشق، ١٩٦١م.
- ٦ - ابن فارس، الإتباع والمزاوجة، تحقيق د. كمال مصطفى . - القاهرة، ١٩٤٧م.
- ٧ - للسيوطي، المزهري، تحقيق جاد المولى وصاحبيه . - القاهرة، ١٤٤:١.
- ٨ - الصحابي في فقه اللغة لابن فارس، تحقيق السيد أحمد صقر . - القاهرة، ١٩٧٧م، ص ٤٥٨.
- ٩ - المزهري، ٤١٥:١.
- ١٠ - المصدر نفسه، الصفحة نفسها.
- ١١ - المصدر نفسه، الصفحة نفسها.
- ١٢ - الإتباع والمزاوجة، ص ٣٢ - ٣٥.
- ١٣ - الإتباع والمزاوجة، ص ٤٢.
- ١٤ - المصدر السابق، ص ٤٣.
- ١٥ - المصدر السابق، ص ٦٠.
- ١٦ - المصدر السابق، ص ٥٤.
- ١٧ - المصدر السابق، ص ٣٣.
- ١٨ - المزهري، ٤١٥:١.
- ١٩ - المصدر السابق، ٤١٥:١.
- ٢٠ - الإتباع والمزاوجة، ص ٢٩.
- ٢١ - المصدر السابق، ص ٣١.
- ٢٢ - المصدر السابق، ص ٢٨.
- ٢٣ - السيوطي، الأشباه والنظائر في النحو، تحقيق عبد الإله نبهان، دمشق، ١٩٨٥م، ٢٠:١.
- ٢٤ - العلايلي، عبد الله، مقدمة لدرس لغة العرب، القاهرة، ص ٢٢٠.
- ٢٥ - سورة النمل، الآية ٢٢.
- ٢٦ - القزويني، الإيضاح، ص ٢١٩.